الدعوة التامة

لقد كان من آخر آيات القرآن الكريم نزولا إن لم يكن آخرها على الاطـــلاق قوله عز وجل :﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ [1] .

ومن مأثور دعاء المسلمين " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمـــة آت محمدا الوسيلة.." .

وإذا تأملنا الآية الكريمة وجدنا أن الله سبحانه وتعالى يمتن على عبـــاده المؤمنـــين بدين كامل ونعمة تامة ، وأن الدعاء الذى يردده المؤمنون عقب كل أذان هـــو صـــدى للإحساس بهذه النعمة التى أنعم الله بها على عباده ، فهم يعتنقون دينا شـــاملا يخـــاطب البشرية فى كل زمان ومكان ، ويؤمنون بدعـــوة ربانيـــة ينتظمها كتاب وصفـــه الله بقوله ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾[2] .

ومعنى كمال الدعوة التى يلتف حولها المؤمنون أنها تصاحب الانسان فى رحلتـــه على هذه الأرض فترشده إلى الطريق السوى ، وتوجهه إلى ما ينفعه وتحذره مما يضره ... ثم تجعل طريقه بعد ذلك موصولا بربه ، وتجعل حياته امتدادا لآخرته .

ومن معالم دعوة الإسلام الواضحـــة انها جعلت حدودا ثابتـــة لا يتعداهـــا المسلمون ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ [3] . ثم أطلقت لهم المجال الفكرى فى سائر نواحى الدنيا ، وفتحت لهم أبواب الحرية فى سائر المعاملات الشخصية مما يجلب لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد ، ويتفق مع الأسس العامة التى رسمها الدين .

وان رسول اللهﷺ ليدعـــو المؤمنين إلى الاستمساك بهذه الدعوة التامة ويجعلها

---

[1] المائدة : ٣ .

[2] الأعراف : ٥٢ .

[3] الطـــلاق : ١ .

الدستور الذى يهتدى به المؤمنون فيقول : "" تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلـــوا بعدى ابدا ، كتاب الله وسنتى "" .

فلا مجال للتغيير فى أصول الدين ، وقد اكتملت ، ولا مجال للإبتداع فى أســـه وقد تمت ، فإن (كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) .

ولكن مجال التأثر والتغيير هو ميدان التطور البشرى الذى تمثله مراحل الإنسان فى هذه الحياة ، وهو ما ام تطورا صالحا يرتفع بقيمة الإنسان ويحقق صورته كما أرادها الله فهو تطور محمود يحث الإسلام عليه ، ويدعو المسلمين اليه ، والحكمة ضالة المؤمـــن أنى وجدها فهو احق الناس بها . وهذا الدين بهذه الصورة الكاملة وهذه المعالم التامة يخاطب أمة واحدة لا فرق فيها بين أبيض واسود ولا تفاوت فيها بين عربى وأعجمـــى فـــالكل يعبدون ربا واحدا ، حيث يقول الله ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقـــم الصـــلاة لذكرى ﴾ [1] .

ويتجهون إلى قبلة واحدة بصلوات واحدة لا تتغير صورتها ، ولا تتعدد طريقتها مهما تعددت أقطار المسلمين .

وهذه الوحدة الشاملة يعبر عنها القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ وإن هذه امتكم أمة واحدة .. وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [2] .

فإذا اعترى عقائد الناس فى هذه الحياة نقص ، فإن دين المسلمين كـــامل ، وإذا أصيبت مبادئ العالم بقصور أضل الناس فدعوة الإسلام تامة .

وفى ضوء هذه النعمة التى أمتن الله بها على عباده يجـــب أن يشعـــر المســـلمون بوحدتهم ، وأن يستظلوا براية الدين الذى هم به كل شئ وبدونه لا شئ .

القرآن والإنسان :

تندرج منازل الإنسان – فى القرآن – صعودا وهبوطا بمقدار معرفته لإنسانيته كما

---

[1] سورة طـــه : ١٤ .

[2] الأنبيـــاء : ٩٢ .

أرادها الله ، وبمقدار أمانته على الرسالة التى وجد من أجلها على الأرض .

والإنسان – بتصور القرآن – كبير بفطرته التى فطر الله الناس عليها وطبيعته التى هداه الله اليها ، وهو بذلك كفيل بأن يقيم ميزان الله على الأرض وبأن يحرس قانونه على هذه الحياة ... أى أنه بتعبير القرآن يكون فى الأرض خليفة .

والإنسان فى ضوء هذا الاستخلاف مخلوق كريم : يعمر الأرض بالسلام ويحكم الدنيا بالحب ، ويملأ العالم عدلا ورحمة .

وهذه الصورة فى مضمونها هى صورة الإنسان الذى جعله الله فى الأرض خليفة حيث يسلك الإنسان طريقه المستقيم بقلب سليم .

وهذا القلب ميزان صلاحه أو فساده على هذه الارض . وحياة الإنسان – فى ضوء هذه الصورة – أيضا هى الحياة التى يدعو الإسلام الناس اليها بعد أن كفل لهم وسائلها ومهد لهم الطريق اليها وأرسى من أجلهم الدعائم إلى بنائها .

فالله – سبحانه – قد بسط الأرض للإنسان ودعا إلى استغلال خيراتها ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ [1] .

فلا مجال للاختلاف على الأرض وهى واسعة ، ولا مجال للتنازع على الرزق وهو مبسوط .

والله خلق الكون كتابا مفتوحا يتدبر آياته أولو الألباب ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يرمنون ﴾ [2] .

فإذا سخر الله الكون للإنسان فمن أجل أن يعرف الإنسان نعمة الله عليه ، ويعيش مع إخوانه فى ظل هذه النعمة مرتبطا بهم بروابط الأخوة التى هى سر بقاء المجتمعات الإنسانية الكاملة ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [3].

---

[1] الملك : ١٥ .

[2] يونس : ١٠١ .

(٣) آل عمران : ١٠٣ .

لكن حين يهبط الإنسان من هذه الدرجة السامية التى خلف الله من أجلها ويتنكر للفطرة التى فطر الله عليها وكأنه ينسى نفسه ، ويتنكر للمعنى الإنسانى الرفيع الذى أودعه الله فيه ... وحين ذلك يذكره القرآن بأصل نشأته ليعود إلى طبيعته ويذكره بقدرة الله ليرجع إلى الإيمان ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر : يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر ﴾ [1] .

فلعله بهذا التذكير يعود إلى حقيقته ، ولعله بمثل هذا النداء يثوب إلى رشده ، فإن تمادى فى غيه وقطع شوطا فى طريق الضلالة و لم يستجب لنداء الإيمان فى قلبه ، فهو كما قال القرآن عنه ﴿ قتل الإنسان ما اكفره . من أى شئ خلقه . من نطفة خلقه فقدره ﴾ [2]

والإنسان بين هاتين المترلتين – الصعود والهبوط – يحيا حياته ويحقق ذاته ويعبر عن إرادته ، فإذا شاء ارتفع فصار بقلبه المشرق بمعانى الخير إنسانا كريما .

وإذا شاء هبط فصار بنفسه الأمارة بالسوء مخلوقا ذميما وهو بهداه لا ينفع إلا نفسه ، كما إنه بضلاله لا يجنى الا عليها ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ [3] .

---

[1] الطارق : ٥ – ١٠ .

[2] عبس : ١٧ .

[3] الشمس : ٧ – ١٠ .

القرآن ومدلول التطور الحضارى

دور الأديان فى حياة الإنسان

نود أن نشير إلى ظاهرة شائعة فى الناس جميعاً على إختلاف مجتمعاتهم وجنسياتهم ودياناتهم ، هذه الظاهرة هى أ ن الدين لم يعد هو الأساس فى حياة الناس وإنما أصبح يشغل زواية متواضعة من زوايا هذه الحياة العريضة ، وتحول مدلول الدين فى مفهوم كثير من الناس إلى صورة رومانسية ، إن كانت جميلة فهى كاللوحة المعلقة على الجدار : تزينه ولكنها لا تمنعه من الإنهيار وتتلخص علاقة الناس بالدين بناء على هذه النظرية بأن يحافظوا على رونقه ، كما يحافظ على جمال اللوحة ، وبأن يقدسوه بإبعاده عن الحياة كما يحرصون على اللوحة فيبعدون عنها الغبار ونتيجة لذلك فقد تحول الدين إلى تاريخ : إن كنا نقدسه فكما نقدس جثث الأعزاء من الأموات ، وان كنا نحافظ عليه فكما نحافظ على الآثار فى متاحفنا .. فهل هذا هو الدين ؟ .

ولقد يقال فى هذا المجال أيضا ان الانبياء الذين اختارهم الله فبعثهم إلى الناس قد خاطبوا قوماً محدودى العقول ، محدودى الثقافة ، محدودى الحضارات وأن هؤلاء الأقوام المتخلفين فى كل شئ قد فتحوا عيونهم على الأديان التى جاء بها الأنبياء فرأوا شيئا جديداً :رأوا أن هذا الدين ينقلهم إلى حضارة واسعة تمتد ظلالها إلى حياتهم وتقاليدهم وتخرجهم من حدود إجتماعية ضيقة إلى افاق عالمية واسعة ، وتكون لهم فكراً وثقافة كما تبنى لهم مجداً وحضارة .

فإذا كانت الأديان قد فعلت ذلك لقوم من المتخلفين فماذا يمكن ان تفعل لأبناء العصر الحديث؟ إن إنسان القرن العشرين قد سيطر على الأرض فاستخرج كنوزها وسخر البحر فاكتشف اعماقه ثم مزق حجاب الفضاء حتى استقر على سطح القمر ، وهو بين ذلك يفرض ارادته وينشر سلطانه على موجات الأثير وأسلاك البرق ويضرب بجذور حضارته فى أعماق العالم .

فماذا يمكن أن يصنع له الدين بعد ذلك ؟ وما ضرورة الدين لحياته الحديثة المتطورة ؟

حقيقة علاقة الإنسان بالدين

هذا الموقف أحس انه يواجه الأديان كلها فى العصور الحديثة ، فللدين قداسة فى القلوب ، ولكن ليس له حياة فى السلوك ، وله صوت ينبعث من أعماق الماضى ، ولكن ليس له واقع نتعامل به فى الحاضر.

وأنا كأحد المؤمنين بدين - أحب أن احدد هذا الموقف وأواجهه من وجهة نظر دينى الذى هو الإسلام وأحب ابتداء أن احدد ذلك فى نقطتين :

١ - ما الرسالة التى جاء بها الدين الإسلامى إلى الناس ؟

٢ - ما المقصود بالتطور بالمفهوم العصرى وبالمفهوم الدينى ؟

الرسالة التى جاء بها الدين الدين الإسلامى إلى الناس يحددها القرآن فى جزء من آية واضحة ﴿ كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ .

ويقصد بالظلمات هنا معنى واسع لكل لون من ألوان الإنحراف فى الحياة والتواء الطبيعة الإنسانية كما أرادها الله .

كما يقصد بالنور معنى واسع لكل لون من ألوان الاستقامة والخير وتحقيق الجانب المضئ فى نفس الإنسان .

فالانطلاق فى الحياة بغير غاية ظلام ، وتحديد غاية الإنسان فى الحياة نور ، اعتداء القوى على الضعيف ظلام ، وإنصاف الضعفاء من الأقوياء نور ، بل أن الارتباط والإلتزام به ، من وجهة نظر الإسلام هو الحياة نفسها وإذا كان قد شبه إعتدال أمور الإنسان فى ظل الدين بالنور ، فقد شبه الدين نفسه بالحياة وشبه الحياة بغير دين بالموت ، فقالفى القرآن :﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ .

وبناء على هذه النظرية فلقد جاء الإسلام ليتفاهم مع طبيعة الإنسان فيحترم

آدميته وينظم علاقته بالحياة ، فيشعر الإنسان أ ن هذا الدين صديق يرشده ويعينه لا جلاد يلهب ظهره بسياط التكاليف وصرامة الأوامر والنواهى .

وإذا سار الإنسان على الطريق القويم للحياة ، فإنه يجد الدين يشجعه على المضى ويثبت قدميه على الطريق .

أما إذا زلت قدمه فسقط فإنه سيجد الدين يأخذ بيده برفق ويحيى نفسه بالأمل لأن الله كما يقول ﴿ واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم ﴾ .

وفى عبارة مختصرة نستطيع أن نقول : أن رسالة الإسلام هى تنمية المعنى الإنسانى فى الإنسان .. والدين بناء على ذلك هو الحياة .

التطور فى مفهوم العرف ومفهوم الدين

تبقى النقطة الثانية من هذا الحديث وهى المقصود بالتطور .

وأبادر قبل الإجابة عن هذا السؤال وتحديد معنى التطور فأشير إلى أن الدين لا يتملق أتباعه ، ولا يخدع المؤمنين به ولا يوهمهم بأن يحقق لهم كل ما يطلبون حتى يصفوه بالتطور وإنما الدين كالطبيب : يهمه أن يعالج المريض بالدواء المناسب ، وان كان مر المذاق ويحرمه من بعض الأطعمة الضارة وإن كانت شهية هذه واحدة أما الثانية : فإن الدين لا يتطور ، لأن الدين مبادئ خالدة وهذه المبادئ هى كيان الإنسان وحياته ، فمنذ وجد الإنسان على هذه الإرض ، والتزم بمجموعة من المبادئ فى حياته فإن مدلول هذه المبادئ لم يتغير ولكن الذى يتغير هو الإنسان نفسه .

وانطلاقا من هذه النظرة فلقد اعتبر الإسلام ان الحقيقة التى بعث بها انبياء الله جميعا واحدة ، وأن دور هؤلاء الأنبياء هو تذكير الناس بهذه الحقيقة وتثبيتهم على مبادئها ، والقرآن يقول للمسلمين ﴿ قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ﴾ .

وذلك تأكيد للمعنى الكلى للدين ، والنظرة الشاملة للدعوة ، وبأن المبادئ التى دعا اليها أول نبى فى مجملها هى المبادئ التى دعا اليها اخر نبى .

بقى أن نحدد المقصود بالتطور

وتحديدنا لهذه الكلمة يعتمد أساسا على تحديدنا السابق لرسالة الإسلام ، وهى بناء الإنسان بنقله من الظلمات إلى النور .

والتطور بمدلوله العصرى يختلف عن التطور بمدلوله الروحى :

فإن المجتمعات تتطور والمخترعات تتطور ، والفنون تتطور ولكن هذا التطور تطور الشكل وتغير المادة .

أما التطور بمعناه الروحى فهو يعنى انتصار الجانب الإنسانى دائما ووقوف الإنسان بمبادئه وقيمه وأخلاقه فى مواجهة التيارات العاصفة للحياة والإنسان المنتصر فى نظر الإسلام هو الإنسان الذى لا يستعبد إلا لربه : محكمته فى داخله ، وقيادته من ضميره ، وسعادته فى إيمانه وهو وإن كان يدب بقدم على الأرض فإنه يتعلق بقلبه فى السماء .

والحضارة كما يعرضها أحد الكتاب العرب تبتدئ بمعنى روحى قليل المظهر ، ثم تنتهى بمظهر ضخم يتراخى به الزمن حتى لا تبقى فيه بقية من المعانى الروحية [1] .

ومعنى ذلك انه لا عبرة بحضارة تعنى بالمظهر وتهمل المضمون ولا وزن لأمة تتقدم فى مخترعاتها وتتأخر فى مبادئها .

وليس معنى ذلك أن الإسلام يرفض التطور الحضارى ، ويقف فى مواجهة تيار الحياة الحديثة . وكيف نتصور ذلك ورسالته بعث الناس من الموت إلى الحياة ونقلهم من الظلمات إلى النور .

إن الاسلام يحث أتباعه على أ، يحرصوا على الحياة كما يحرصون على الآخرة ويقيموا الدنيا كما يقيمون الدين ، والمسلمون يقرءون فى كتابهم قول ربهم:

---

[1] عبقرية خالد : عباس محمود العقاد .

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ وهم مأمورون أن يستثمروا المال إلى اقصى حد ، وبأن يديروا المصانع بأحدث الوسائل ، وبأن يستعينوا فى سيرهم إلى الحضارة بأرقى الخيرات ، والحكمة ضالة المؤمن : أنّى وجدها فهو أحق الناس بها .

وإذا كانت هناك مظاهر متخلفة فى العالم الإسلامى المعاصر وإذا كنا ننظر فى هذه الايام فنرى بلاد الإسلام عاجزة عن ملاحقة ركب الحضارة ، فإن ذلك كله محسوب خطأ على الدين ، والدين برئ منه ، فهو الذى نقل المسلمين الأوائل من البداوة إلى الحضارة ، ومن الأمية إلى التعليم ، ومن التخلف فى كل المجالات إلى الكشوف فى كل المجالات .

والعالم الإسلامى المعاصر فد وقع فريسة استعمار متطور مدروس مزق كيانه وشوه عقيدته وأفسد صورة الدين المشرقة فى نفسه والتخلف الحضارى الذى نراه فى هذه الايام لا يتهم به الإسلام ، ويفسر على ما أشرت اليه من تشويه الدين فى نفوس بعض المسلمين ، واكتفائهم بتقديس الدين عقيدة ومبادئ وعدم التزامهم بتطبيقه سلوكاً وعملاً

وإذا دعا الإسلام إلى الأخذ بكل أسباب التطور والحضارة ، وبارك كل تقدم نبيل فى الكشوف والمخترعات ، فإنه يجعل الحضارة فى خدمة الإنسانية ويجعل التقدم المادى من أجل تنمية الجانب الروحى الذى يمتاز به الإنسان على سائر مخلوقات الأرض .

ولذلك فإن هذا التقدم يجب أن تكون له غاية واحدة هى إقامة الحياة العادلة بين الناس ، وتطبيق ميزان الله على الأرض فالمال مال الله ، والناس جميعاً عباد الله .

وغاية الحضارة الإسلامية - إذن - أن يعيش المسلم فى سموّ عقيدته لا فى تسلط شهوته ، وفى ارتفاع إنسانيته لا فى انحطاط حيوانيته وفى إشعاعات قلبه ومشاعره لا فى نداءات بطنه وغرائزه .

فإذا لم يستطع الإنسان أن يحقق هذه المبادئ فى نفسه ، وإذا لم يستطع ان يتغلب

على شهوته فى التسلط والإعتداء، وإذا لم يستطع أن يشعّ من حوله الحب والسلام ، فهو فى نظر الإسلام إنسان متخلف وإن كانت وسائل حياته المادية من ملبس ومسكن ومواصلات متطورة إلى أبعد حدود التطور .

وإلا فكيف نوفق بين مظهرين متناقضين فى حياتنا المعاصرة :

الإنسان حقق لنفسه كل وسائل المتعة والرفاهية الحضارية الحديثة ، ومع ذلك فقد حقق أعلى نسبة فى الانتحار والتخلص من الحياة !! .

ألا يعنى ذلك فراغه الرهيب من الداخل ، وعجزه عن تحقيق سعادته وتوازنه عن طرق مظهره البراق من الخارج ؟

الدين والحياة

وإذا كان الدين ضرورة لحياة الناس ، فإنه ليس ظاهرة إجتماعية من صنع الانسان تتبدل وتتغير، وليس اختراعاً يدركه ما يدرك " الموضات " من ظهور ، ثم ازدهار ، ثم ضمور ... ثم موت ، ولكنه فطرة فطر عليها ، والفطرة لا يخترعها الناس ولا يبتكرونها ، وإنما هم منجذبون اليها ، معبرون عن طبيعتهم من خلالها .

وهذه الفطرة ثابتة قائمة متحققة فى طبيعة كل نفس ﴿ لا تبديل لخلق الله ... ذلك الدين القيم .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

أما الإسلام وقدرته على خلق مجتمع متطور ، فإنه ليتمثل فى تشريعاته وأحكامه السمحة المتطورة فى الصور والأمثلة الآتية [1] :

١ - تتأثر أحكام الإسلام بالبيئة وتغير الأزمان ، وهى تصدر مرتبطة بعلتها وتتغير بتغير هذه العلة .

٢ - من اجل مراعاة مصالح الناس وتطور مجتمعاتهم لم يتناول القرآن بالتفصيل أحكام المعاملات المالية والجنائية والدولية والقضائية وما شابه ذلك مما يتغير بتغير البيئة ويتأثر بإختلاف النظم .

---

[1] الإسلام والمجتمع المتطور ، مجلة العربى ، يوليو ٧٢ .

٣ - اقتدى التابعون بأحكام نبيهم بعد وفاته ، ولكن اقتداءهم كان إقتداء واعيا مبصرا ، فوفقوا بين هذه الاحكام وبين حاجة الفترة التى يعيشونها دون الإعتداء على روح الدين وحكمته فى التشريع ، وكان ذلك انطلاقا لفهمهم فى النقطتين السابقتين من ارتباط الأحكام بعلتها وتغيرها بتغير هذه العلة ، وأن الأساس فى التشريع الإسلامى هو مراعاة مصالح الناس ولقد شجع النبى أصحابه على الاجتهاد فى فهم الأحكام وتطبيقها ، وكان هناك قاعدة عريضة تقول : "" من أجتهد فأصاب فله أجران ، ومن أجتهد فأخطأ فله أجر "" ، فهو إن اصاب فله أجر الاجتهاد وأجر الصواب ، وإن اخطأ فله فى الاجتهاد ، وأما خطؤه فليس محسوبا عليه .

ظاهرة الإنصراف عن الدين

وإذا كان الناس بدافع من إدعاء التطور ، أو برغبة من الشعور بالتحرر وبخاصة الشباب منهم ، ينفلتون من الدين ويضيقون به ويرون إنه من عوامل التخلف وأسباب الانحطاط الحضارى ، فإن ذلك راجع إلى رغبة داخلية مكبوتة فى التمرد على القيود ، والتخلص من الألتزامات والانطلاق فى الحياة دون غاية أو ضابط ، وهذا هو ما نلمسه فى شباب العالم بما يسمى شعورا بالقلق أو التمزق أو الرفض ومثل هذا الشباب الجامح لا يمكن أن يؤدى للإنسانية دورا نافعا إلا إذا استقرت نفسيته ولا تستقر بملبس فاخر وأكله شهية أو سيارة فخمة ... ولكنها تستقر بإعادة مشاعر الحب والأمان اليه ، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق مبادئ الدين الثابتة التى تقيم الحياة المتطورة .

نحو جيل متدين

وإذا كان هدفنا جميعا من عرض حقائق الدين هو ربط أبنائنا به ، وصبغ حياتهم بتعاليمه اقتناعا وسلوكا ، فإننا يمكن أن نضع المقترحات التالية خطوات على الطريق إلى الإيمان :

أولا : لا ينفع المتدينين لبعث هذا الدين فى النفوس أن يتحدثوا عن محاسنه ويزينوه لأبنائهم بقدر ما يلزمون أنفسهم به ، فلابد أن يكونوا هم قبل كل شئ مقتنعين

بدينهم اقتناعا كاملا منهجا وطريقا وفكرا وتطبيقا ، ويتبع هذا الاقتناع ان يلتزموا هم أولا بمبادئ الدين إيمانا بالقلب وتصديقا بالجوارح ، بحيث يكون هذا الدين واقعا فى الحياة ومنهجا فى السلوك لا شيئا كماليا نضفيه على حياتنا كما نزين به بيوتنا .

ثانيا : ويتبع هذه الخطوة أن نعرض الدين على عقول أبنائنا ليفكروا ، وعلى مشاعرهم ليتأثروا ، وعلى حياتهم ليجدوا فيه حلولا مناسبة لمشكلاتهم الطارئة الملحة ، فليس الدين هو مجموعة التعليمات والوصايا التى تساق اليهم فى لحظات وجدانية ، ولكن الدين ، كما أشرت هو الصديق ، وهو المرشد وبأختصار ... هو الحياة.

ثالثا : الدين ليس أسرارا غامضة ، ولكنه حقائق واضحة وعلى ذلك فإن لأبنائنا أن يناقشوا وأن يفهموا ، وأحب أن أحذر فى هذا المجال من إضفاء طابع الصرامة على الدين ، بحيث يحس أبناء الجيل بأنهم أمام "" دكتاتور "" غامض رهيب يفرض عليهم ان يقدسوه ، ولا يحق لهم أن يناقشوه .

رابعا : لا يجوز أن تكون التربية الدينية فى المدارس حصصا لشرح مقرر دراسى يعقد فى امتحان تكون نتيجته نجاحا أو رسوبا كأى مادة دراسية ، ولكن يجب ان تكون هذه التربية إثارة للعقل وتنبيها للوجدان ، ومن هنا فقد يتوافق سلوك التلميذ مع تعاليم الدين ، وحينئذ يجب أن يقفوا عند نقطة التعارض ، ويقاوموا بحزم دون تدليل لسلوكهم أو مجاراة لميولهم .وعلى ضوء اتفاقنا لمدلول التطوير فى الدين يجب ان يكون سلوكهم نحو تشكيل جيل متدين .

القرآن وحضارة الإنسان

يقول الله عز وجل ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا اليما ﴾ [1] .

---

[1] الإسراء : ٩ .

وان لكل حضارة أساسا يقوم عليه بناؤها ويرتكز عليه كيانها ، وان لكل أمـــة متحضرة دستورا ينظم حياتها ، ويقوم العلاقة بين افرادها وحضارة تقوم على غير أساس تشبه قصرا يقوم على الرمال ، يعجبك مظهره وتأخذك زخارفه ، ولكـــن مصـــيره إلى الانهيار والزوال .

وأمة من غير دستور تشبه رعية من غير راع : يتكاثر أفرادها ، وتتجمع أعدادها ولكن أحوالها فوضى ، وأعداد أفرادها متناثرة لا يحكمهم رباط ، فهم كما صورها نـــبى الإسلام عليه السلام "" كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل "" .

ولقد وضع الإسلام للمسلمين منهجا ، كما وضع لحضارتهم أساسا ، وأرســـى لمجتمعهم دستورا ذلكم الدستور هو القـــرآن الكريم ، ولقد جاء هذا القرآن ليخـــاطب الناس ، فينظم لهم حياتهم ، ويرسم لهم منهجهم ويرشدهم إلى ما ينفعهم ، وينظم لهـــم العلاقة بينهم وبين أنفسهم كما نظم لهم العلاقة بينهم وبين خالقهم .

ولأن صاحب الدستور الربانى هو خالق الناس من العدم ،فلقد جاء هذا الدستور الحكيم ملما باحوال الناس ، مراعيا لحاجة البشر ، ومعبرا عن الحركة الحضارية للإنسان ،بل أكثر من هذا وأبعد ... وصورا لكل ما تهجس له النفس من خواطر ، وما يتردد فى حناياها من مشاعر ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلـــم مـــا توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ [1] ، وإذا استطاعت دساتير الأرض كلها أن تدعى القدرة على تنظيم حياة الناس والى تقنين تعاملهم فى هذه الحياة فإنهـــا لا تستطيع أن تدعى القدرة على التغلغل فى نفوسهم ، والأطلاع على ما توسوس به هـــذه النفوس فتلك هى قدرة الله ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ [2] .

ومن هنا كانت دقة القرآن الذى هو دستور المسلمين ومن هنا أيضا كانت الأمة الملتزمة بهذا الدستور هى ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾.[3]

---

[1] ق : ١٦ .

[2] الملـــك : ١٤ .

(٣) آل عمران : ١١٠ .

يقول الله تعالى فى هذا الكتاب المحكم ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [1] .

والمؤمنون الذين استقبلوا هذا الكتاب ضياء للعقيدة ودستورا للحياة يرون الوجود أكبر من كيانه الظاهرى وأعمق من واقعه المشهود ، فالحياة كما صورها القرآن هى ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ لا عالم الشهادة وحدها ، وهو الدنيا والآخرة لا الدنيا وحدها ولقد قال المكذبون حينما واجهوا رسول الله بتكذيب البعث والنشور ﴿ ما هى الا حياتنا الدينا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ .

ولكن ميزان العدل الإلهى يقضى بأن يثاب المحسن ويعاقب المسيئ ، وهو إن أفلت من قبضة القانون فى الدنيا فإنه لا يفلت من عقاب الله فى الآخرة ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ [2] .فما يناله الإنسان من شئ فى هذه الأرض فليس نصيبه كله ، انما هو بعض هذا النصيب ، وما يفوته هنا من الجزاء فلا يفوته هناك فإنه لا ظلم ولا بخس ولا ضياع ، هكذا يقول الله تعالى فى محكم كتابه :﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ [3] .

وبقدر إيمان المؤمنين بدقة دستورهم وعدالة احكام الله لهم يكون إيمانهم بقيمة الانسان وكرامته عند الله ، لأنه قبل أن يأمرهم بالهداية دلهم على الطريق ، وقبل أن يأمرهم بالمعاملة وضع لهم الدستور ، وقبل ان يدعوهم إلى الدين بعث اليهم الهداة ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [4] .

فليس الإنسان كيانا مهملا فى القرآن ، وإنما هو مخلوق كريم بنفحة من روح الله

---

[1] الأعراف : ١٠٠ .

[2] الأنبياء : ٤٧ .

[3] يس : ٥٤ .

[4] النساء : ١٦٥ .

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ وهو بهـذه النفحة الربانية مستخلف فى الأرض وبها أيضا يجتمع الناس فيجعلوها هى الصلة التى تربط بيهم إذا ترابط غيرهم من الناس على أساس من نداء المادة كالطعام والمال والمنصب ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ [1] .

وكما كرم القرآن الفرد ، فقد احترم عقله وكرم مشاعره ، فلم يجعل له هذا الوجود فريسة لمصادفة عمياء أو فلته عارضة ، وانما كل شئ بقدر :

﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار ﴾ [2] .

ومظاهر الكون التى تصافح حواس الإنسان صباح مساء خاضعة لناموس لا يختل وقانون لا يضطرب ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أ ومتاع زيد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ [3] .

ومن أجل هذا النظام المحكم فإن المؤمن مأمور بأن يأخذ بالأسباب وبأن يطمئن إلى قدر الله المحكم وحكمته البالغة ، وبأن يؤمن بأن يد الله فى كل حادث وفى كل أمر وهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه . أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ولا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ، فإن " لو " تفتح عمل الشيطان ، ومن هنا يحس أن القرآن الذى جاء به الرسول ﷺ ليس هو المواد الجامدة التى تحكمه وتحدد تصرفاته وإنما هو الرفيق الذى يرشده ويهدى خطواته ، لأنه هو واعظ الله فى نفس كل مسلم ، وليس هو الأوامر الصارمة الملقاة عليه لينفذها دون وعى ولكنه الهداية الرشيدة التى تمهد له

---

[1] محمد

[2] الرعد : ١٧ .

[3] الرعد : ١٧.

طريق الحياة وتجعل هذا الطريق موصولاً بالآخرة ، والقرآن كما قال الرسول ﷺ "" مأدبة الله فأقبلوا من مأدبته "" .

وهو كما قال الله عنه ﴿ يهدى للتى هى أقوم ﴾ وهدايته تشمل الاقوام والأجيال بغير حدود من زمان أو مكان ، فهو يهدى البشر بعقيدة صالحة واضحة إلى الله الخالق وحده دون سواه ، وهو بذلك يبعد كل ألوان السيطرة التى تحتل وجدان الإنسان وتستبد بأرادته فتحرره من الضلالة كما تحرره من الخوف ، وتنسق بين ظاهرة وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فيعيش الإنسان حياته على الأرض موصولاً بالسماء ، ويحول كل عمل من أعماله إلى عبادة وان كان متعة واسترواحاً ، وان العبادة والمتعة لتمتزجان فى نفس المؤمن حتى تصير عبادته تزكو بها روحه ولقد كان رسول الله ﷺ "" إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة ووجد فيها عزاءه وأمنه وراحته ، فهو يقول لبلال "" أرحنا بالصلاة يا بلال "" .

وتكون التكاليف الشرعية فى ضوء هذا الفهم علاجاً للنفس وتزكية لجانب الخير فى الإنسان ، وموازنة عادلة بين رغبته وقدرته ، فلا هى شاقة يعجز عن حملها فيمل الالتزام ويأس من الوفاء ، ولا هى لينة يترخص فى الأخذ بها حتى لا تشيع فى نفسه الرخاوة والاستهتار .

وهذا القرآن الذى ﴿ يهدى للتى هى أقوم ﴾ يقيم علاقات الناس بعضهم ببعض على أساس من المودة النقية الصافية التى لا تتأثر بالرأى ولا تميل مع الهوى ، لأنه أساس مستقيم من صنع العليم الخبير بخلقه وهو سبحانه أعلم بمن خلق وأعرف بمصالح العباد فى كل أرض وفى كل جيل ، فيهديهم للتى هى أقوم فى نظام الحكم ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولى اللائق بعالم الإنسان ، وفى الربط بين الديانات السماوية وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية فى سلام ووئام.

وعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم القرآن بناء المجتمع الإسلامى ، فليس هناك ايمان بلا عمل ، وليس هناك عمل بلا إيمان ، الإيمان بلا عمل إيمان مبتور لم يبلغ تمامه ،

والعمل بلا ايمان عمل مقطـــوع لا ركيزة له ... وبهما معا تسير الحياة على التى هى أقوم ، وبهما معا تتحقق الهداية بهذا القرآن .

والذى يقرأ القرآن فيتدبره بقلبه ، ويمزجه بمشاعره ، ويعيشه بحواسه كلها ينتهى إلى يقين حاسم بأنه هو العلاج الناجح لمشاكل الإنسانية من متاعبها التى تعانيـــها علـــى المدى البعيد ... لا كلمات منمقة تقـــال ، ولا جملا خطابيـــة تلقـــى ، ولا لحظـــات وجدانية تعاش .

ولكنه الشعور الحقيقى الذى ينبض به القلوب المخلصة ، فالله هو الذى خلـــق العباد والله هو الذى خلق الحياة التى يحياها هؤلاء العباد ، والله هو الذى ســـن الشريعـــة وشرع الدين الذى وصى به وهو يبدأ بإصلاح الإنسان نفسه فيربى ضمـــيره ، ويغـــرس الوازع النفسى فيه ، ويجعل رقابته من داخله لا من خارجه ، والفرد إذا صلح فقد صلح المجتمع وصلح العالم .

وإن الارتباط بالقرآن الكريم ومعايشته صورة واحدة : فهو ليس صورا بلاغيـــة تمتع القارئ برونقها وان لم يخل من بلاغة واعجاز فنى ، وهو ليس كتابا علميا يخـــرج على الناس بنظريات علمية واختراعات عجيبة وان احتوى على بعض الإشارات العلميـــة التى يدركها المتخصصون ولكنه كتاب حياة ، ودستور للمنهج الإسلامى الذى هو منهج الله وان الالتزام بذلك المنهج اعتقادا بالقلب وسلوكا بالجوارح وتعاملا مع الناس لا يعد تطوعا أو عملا من أعمال البر نمن به على هذا الدين ﴿ بل الله يمن عليكـــم ان هداكـــم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ [1] .

ولكن الإلتزام بهذا المنهج هو الإيمان ولا إيمان بغير التسليم لله والأخذ بمنهجه فى الحياة ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخـــيرة مـــن أمرهم ﴾ [2] .

---

[1] الحجـــرات : ١٧٨ .

[2] الأحزاب : ٢٦.

ولقد أنشأ القرآن حياة تفيأ الصدر الأول للإسلام ظلالها فكانت جديدة فى كل شئ : فى قيمتها وأخلاقها ومبادئها ، وأرسى حضـــارة شاملة إنبثقت من الصحراء ولكنها اشاعت الرخاء والأمن فى ربوع العالم .

و لم تكن هذه الحياة معجزة من المعجزات ، ولا أسطورة من الأســـاطير وإنمـــا كانت واقعا يمارسه المسلمون فيجدونه حيا فى مشاعرهم كما يجدونه حيا فى معـــاملاتهم وأساس ذلك إيمانهم بأن طريق الله هو الطريق ، وبأن منهجه هو الحياة وبأن كتابه هـــو الدستور ، ومن وراء ذلك الإيمان تجرد فى التطبيق واخلاص فى الالتزام ويقين راسخ بـــأن الله ﴿ قد أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا ﴾ [1] .

وبأن هذ الكتاب ما نزل الا لتتبع أحكامه وما جاء الا لتطبيق شريعتـــه وبهـــذا المفهوم السوى اصطبغت حياة المسلمين بصبغة الله ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ وسادت كلمة الله وكلمة الله هى العليا.

فلما نحى الإسلام عن قيادة البشرية ولما أقصى القرآن عن واقع النـــاس تخبـــط المسلمون الذين فقدوا الطريق ، وتخبط العالم الذى يخترع كل يوم منهجا جديدا لا يسعد الناس بقدر ما يشقيهم ولا يوفر لهم الأمن بقدر ما يجلب لهم من الدمار .

وتلك هى سنة الله فى الخلق ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال : رب لم حشرتنى أعمى وقد كنتب بصيرا . قال : كذلك أتتك آياتنا فنيستها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [2] .

---

[1] الكـــهف : ١ .

[2] طـــه : ١٢٣ - ١٢٦ .

التدين و الحضارة

حضارة الصمود

يقول الله تعالى ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ [1] .

الطريق إلى الله واحد وإن تعدد الدعاة الذين يأخذون الناس اليه ، والدعاة إلى الله على لقاء دائم وإن انفصلت بينهم الأزمان ، وباعدت بينهم المسافات ، ونهاية الطريق إلى الله واحدة هي جنة عرضها السموات والأرض ، ولئن فرش هذا الطريق بالأشواك وحف بالمكاره ، فلأن سلعة الله غالية ﴿ ألا ان سلعة الله الجنة ﴾ .

والمؤمنون الذين يحملون عقيدتهم في قلوبهم ، ويحملونها بعد ذلك إلى قومهم ، يعلمون انهم حملة المصابيح والظلام مخيم ، ورسل الهداية والضلال مطبق ، وهذاة البشرية والناس نيام .

وهم بهذا اليقين يقدرون مصاعب الطريق حتى لا يفاجئوا بها و يفترضون المشاق حتى يتهيئوا لحملها ، ويؤمنون بأن المصاعب محك الرجال والفتن تمحيص للمؤمنين ، لأنهم يتلون في القرآن مثل قول الله عز وجل ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [2] . ومثل قوله تعالى ﴿ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين أمنوا معه متى نصر الله . ألا أن نصر الله قريب ﴾ [3] .

---

[1] آل عمران : ١٤٦ .

[2] العنكبوت : ٢١٤ .

[3] البقرة : ٢١٤ .

وإذا علم الدعاة إلى الله انهم يسلكون الطريق المستقيم ، وأنهم على الحق سائرون استهانوا بالصعاب فى سبيل المبدأ ، وضحوا بالراحة لتحقيق الغاية ، واستعذبوا الموت ما دام فى سبيل العقيدة ، وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾[1] .

ولقد نزلت الآيات التى صدرنا بها هذا الحديث تعقيبا على الهزيمة التى مـنى بهـا المسلمون فى غزوة أحد ، وكانت أول هزيمة تصدم مشاعر المسلمين بعد انتصارهم المؤزر فى غزوة بدر ، وكانوا وهم منتصرون عددا قليلا يمتن الله عليهم بقوله ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ﴾ ولكن لما وقر فى نفوسهم أن النصر حليفهم فى كل الأحوال ، وانه هو الأمر الطبيعى والقاعدة المطردة التى لا تتخلف ... صدمتهم الهزيمة فى أحـد ففوجئـوا بالابتلاء الذى لم يكونوا يتوقعونه ، وفتنوا الفتنة التى لم يثبت لقسوتها الا القليلون .

ولقد ضرب الله للمؤمنين فى هذه المناسبة مثلا عاما من سيرة الانبياء السـابقين الذين ﴿ صبروا على ما كذبوا أوذوا ﴾ ، و لم يحدد لهم نبيا بالذات فكلهم سائرون علـى الطريق ، وكلهم معرضون للفتنة والابتلاء ولقد قال ذلك ورقة بن نوفل لرسـول الله ﷺ وهو يضع خطواته الأولى على طريق الدعوة إلى الله يقول له : ليتنى فيـها جلـدا . أى شديدا . حين يخرجك قومك . فسأله الرسول متعجبا : أو مخرجى هم ؟ فيجيبه : ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذى .

والناس كما يقال . أعداء ما يجهلون ، فالأنبياء يدعونهم إلى الطريـق المسـتقيم فينحرفون عنه ، ويرشدونهم إلى الهدى فيميلون إلى الضلال ويأخذون بحجزاتهم ليبعدوهم عن النار فيتهاوون اليها كما يتهاوى الفراش .

ومن أجل ذلك نسمـع نبيا من أنبياء الله ينادى قومه (يا قوم مالى ادعوكم إلى

---

[1] آل عمران : ١٧٣ .

النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار)[1] .

ويشكو نوح قومه إلى ربه فيقول ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا ﴾ [2] .

ولكن انبياء الله لهم رسالة هم مكلفون بتبليغها ، وهم يؤمنون بأنها الحق "" وماذا بعد الحق الا الضلال "" فلا تضعف نفوسهم لما يصيبهم من البلاء والكرب ، ولا تضعف قواهم عن الاستمرار في الكفاح ، ولا يستسلمون للجزع القاتل ، والعدو العنيد .. وشأنهم هذا شأن المؤمن التقي الذي يحمل عقيدة ، ويجاهد في سبيل الله .

هؤلاء الأنبياء الصادقون يجاهد معهم مؤمنون صادقون ، سمتهم الآية " الربيون " لأنهم انتسبوا الى الرب سبحانه ، وتوجهت قلوبهم إلى عبادته وقصدوا بأعمالهم وجهه ، واعتقدوا أن النبيين الذين يقودونهم على طريق الجهاد هداة معلمون لا أرباب معبودون . وأن نصر الله ليتزل على عباده لإيمان المؤمنين الواثقين ، وأن الله ليثبت ذلك المعنى في قلب نبيه عليه السلام حيث يقول له ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ [3] .ويصف النبي الذين أمنوا معه بقوله :﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .

وإذا كانت الصورة الظاهرة لهؤلاء " الربيين " قد أظهرت شدتهم في الحق وصبرهم على المحنة والابتلاء ، فإن الصورة الباطنية لنفوسهم ومشاعرهم قد أبرزت الفضيلة النفسية التي تأدبوا بها في حق الله فهم حينما يواجهون الأهوال التي تذهل النفوس لا تطير أنفسهم شعاعا ، ولا يغفلون عن صلتهم بالله فيلجئون اليه يطلبون العفو والمغفرة ويعترفون له بالذنب والإسراف قبل أن يطلبوا الثبات والنصر على الأعداء ما كان قولهم

---

[1] غافر : ٤١ - ٤٢ .

[2] نوح : ٧ .

[3] الأنفال : ٦٢ .

إلا أن قالوا ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرون ﴾ .

فهم لم يطلبوا اجرا فى الدنيا ولا ثوابا فى الآخرة ، وهم لم يتعلقوا بعرض زائل من أعراض الحياة، و لم تشغلهم أهوال الحرب التى أمامهم عن امانة العقيدة التى فى قلوبهم ، فإذا طلبوا النصر بعد ذلك فهم لا يطلبونه لأنفسهم شفاء لغيظ قلوبهم وكبتا لأعدائهم ، وأنما هما يطلبون النصر " على القوم الكافرين " بهذه الصفة ،صفة الكفر ، كأن الكفار أعداء المؤمنين ، وهم كذلك أعداء الله .

وما دام هؤلاء المجاهدون الصادقون لم يطلبوا لأنفسهم شيئا ، وتجردت نفوسهم فى الجهاد فلم يقصدوا به إلا الله وحده ، فقد أعطاهم الله من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا ، وخير ما يتمناه طلاب الآخرة مجتمعين ، حيث يقول الله عز وجل ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .. والله يحب المحسنين ﴾ .

ولا خوف على أمثال هؤلاء من ثواب الدنيا ونعيمها ، فإن همهم قد ارتفعت فلا تفتنها النعمة وان نفوسهم قد علت فلا يخدعها بريق الحياة ، وأن ما فى قلوبهم من سعادة أجمل مما فى أيديهم من مال ، وأنهم كما قال أحد الحكماء عنهم : يعيشون فى الدنيا ، ولا تعيش فيهم ، ويأكلون منها ولا تأكل منهم..

أى أنهم يعيشون الحياة ويخالطونها ، ولكنهم لا يدعونها تحتل قلوبهم وتسيطر على مشاعرهم وتستبد بأهوائهم ...

وهم كلما تمكنوا فى الأرض فقد مكنوا لدين الله ، وكلما سادوا فى الحياة فقد سادت كلمة الله وهؤلاء هم الذين يقول الله فيهم ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾[1] .

فوجه الله غايتهم ، وعلو كلمته أمنيتهم ، وجهادهم لتحقيق هذه الغاية ، وكفاحهم لإعلاء هذه الكلمة ... وهذه هى الرسالة الحقيقية للإنسان كما أراده الله .

---

[1] الحج : ٤١ .

وما دام المؤمنون قد ارتبطوا بمبدأ ، فلا يضرهم أن يفنى بعض الاشخـــاص ، لأن المبدأ على بقاء ، والأشخاص إلى فناء ، ولا يضعف مجموع المؤمنين بما أصاب بعضهم من الجراح وبعضهم من القتل حتى ولو كان المقتول هو النبى نفسه ، لأنهم يقاتلون فى سبيل الله وهو ربهم ، وإنما حظهم من نبيهم تبليغه عن ربهم وبيانه لهدايته وحكمته ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ﴾ [1] .وهم يثبتون بعد نبيهم كما يثبتون معه ، لأن علـــة الثبات واحدة فى الحالتين ، وهو كون الجهاد فى سبيل الله ، أى فى الطريق التى يرضاهـــا الله لحفظ الحق وحمايته ، وتقرير العدل واقامته ، وإذا ثبت المؤمن فى جهاد اعدائه وهـــم اعداء الله فقد طبع نفسه على الثبات فى كل أموره حتى أصبحت ملكة فى النفس وخاصية فى السلوك ، وإذا صبر على الأذى فى سبيل الله فقد روض نفسه على الصبر امـــام كـــل الشدائد التى تهون بجانب الفتنة فى العقيدة والعذاب فى سبيل الله .

ولقد صمدت فئة بجانب النبى ﷺ وهو يواجه أعداءه فدافعت عنه وهى تعلم أنها تدافع عن الرمز وعن الحقيقة ، وثبتت معه فكانت فى ظهور الحق على الباطل وإنتصـــار المؤمنين على الكافرين ، وكان صبرها سببا فى حب الله لها ، ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

وحب الله للإنسان يفتح له مغاليق الأمور ويوضح أمامه شعاب الحياة ، ويدافع عنه إذا ألم به مكروه ﴿ إن الله يدافـــــع عن الذين آمنـــوا إن الله لا يحـــب كـــل خوان كفور ﴾ [2] .

ولقد روى فى صفة العـــبد الذى يحبه الله ((فإذا أحببته كنت سمعه الـــذى يسمع به ،وبصره الذى يبصر به ، ويده الذى يبطش بها)) ، أى أن مشاعره وأعماله لا تكون مشغوله الا بما يرضى الله ويقيم سنته ويظهر حكمته فى خلقه .

ويتجلى احساس الإنسان بالله حين تقع به الشدة ويلم به المكروه ، حين ذلـــك يطمئن لقدرة الله ويرضى بقدره ويشعر برعايته له .

---

[1] الكهـــف : ٥٦ .

[2] الحـــج : ٣٨ .

نجد هذا الموقف حين يهرع أصحاب موسى اليه والبحر أمامهم وفرعون من ورائهم "" قال أصحاب موسى إنا لمدركون "" فيجيب موسى بلهجة المؤمنين الواثقين : " كلا " وأساس هذه الإجابة " أن معى ربى سيهدين " فلم يكن موسى يعلم ماذا سيفعل ، وكيف سيهديه ربه ، ولكن كان يعلم أن الله معه ﴿ وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾ [1] . ومن ثم فقد كان الفرج عند الشدة وكان الحل عند الأزمة ، وكان قول الله عز وجل ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فإنفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴾ [2] .

وهذا الموقف نفسه مع نبى الإسلام ﷺ إذ هو وصاحبه فى الغار والعدو يتربص بهما والعيون ترقبهما ، فيمسح الرسول على قلب أبى بكر ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ فتكون نتيجة هذا الإيمان الوثيق بالله عز وجل ﴿ فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ﴾ [3] .

ولقد يقول قائل: أن تأييد الله كان لأنبيائه ، حينما كان يتزل الوحى ، وحينما كانت صلة السماء بالأرض صلة مباشرة ، وكان هذا التأييد بمثابة المعجزات التى يسوقها الله ويعجز عن صنعها البشر وقد أنقضى الوحى ، وانتهت المعجزات ، ولم يبق للإنسان إلا حوله القاصر وقوته المحدودة .

وهذا القول يجرد الإنسان من أهم عنصر فيه وهو الروح ، فما كانت حسابات الإنسان بأحكم من تقدير الله ، وما كانت حوادث الأرض بأقوى من قوته وتدبيره ، ولا يشترط فى التأييد أن يكون معجزة خارقة تتحدى العقل ويعلو على الأفهام ولكن .. تأييد الله لعباده توفيق ، كما أن هدايته إرشاد إلى الطريق.

ولم يقتصر نصر الله وتأييده على زمن النبوة وحدها ، بل أنه امتد على الزمان

---

[1] النساء : ٤٥ .

[2] الشعراء : ٦١ - ٦٥ .

[3] التوبة : ٤٠ .

حتى يشمل العباد فى كل زمان ، ولكن بالشرط الذى يتنزل بها النصر ، ويتم بها التأييد فالله سبحانه وتعالى يقول﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [1] .

كما هو واضح ليس للرسل وحدهم ، ولكن للمؤمنين أيضا ، وليس فى يوم القيامة فقط ولكن فى الحياة الدنيا قبل يوم القيامة .

وغاية ما يطلب من الذين يسلكون طريق الكفاح أن يسلكوا منهاج النصر ، وهذا المنهج يتطلب منهم أن يتجنبوا كل السبل المنحرفة ليسلكوا سبيلا واحدا هو سبيل الله ، وأن يؤمنوا بأن السبيل الذى أختاروه هو السبيل الذى دلهم الله عليه وأرشدهم الرسول اليه ، وأن يضعوا فى أعتبارهم أن العقبات قد تعترض مسيرهم وأن الأشواك قد تفرش طريقهم وان العذاب فى سبيل العقيدة قد يقع عليهم ، فليستعدوا لذلك بهمه عالية وعزيمة ماضيةونفس صلبة ، فإن الطريق الذى سار فيه الأنبياء يسير يه المؤمنون وأن الذى وعد به الانبياء يحرزه أيضا المكافحون الصادقون .

وخلاصة ذلك كله اختيار للطريق ، وإيمان بالحق ، وصبر على البلاء ﴿ قل هذا سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [2] .

﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ﴾ [3] .

---

[1] غافر : ٥١ .

[2] يوسف : ١٠٨ .

[3] الشورى : ١٥.

حضارة الاستقامة على المنهج

يقول الله عز وجل ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [1] .

لقد دعا رسول الله ﷺ إلى الاسلام ﴿ دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا﴾ [2] . فدعا بذلك إلى منهاج واضح ومحجة بيضاء واخذ الناس إلى صراط مستقيم ﴿ صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض إلا إلى الله تصير الأمور ﴾ [3] .

وما دام هذا الصراط مستقيما فإنه لا يضل سالكه ولا يهدى تاركه ، إذ ليس بعد الحق الا الضلال ، وليس أمام تارك النور الا الظلمات ، ﴿ فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال ، فأنى تصرفون ﴾ [4] .ولقد روى فى سبب نزول قوله ﴿ وان هذا صراطى مستقيما ﴾ عن عبد الله بن مسعود قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما . ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قرأ ﴿ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ثم قال ابن مسعود : تركنا محمد ﷺ فى أدناه وطرفه الجنة ، وعن يمينه جواد - أى الطرق - وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط المستقيم أنتهى إلى الجنة ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الصراط المستقيم سبيلا واحدا وجعل السبل المخالفة سبلا متعددة ، لأن الحق واحد لا يتعدد والباطل طرق مختلفة ، وشعاب متفرقة ، فهو يشمل الأديان الباطلة من مخترعات محرفة ومنسوخة وبدع وشبهات ، وان التفرق أيضا فى الدين الواحد يجعله مذاهب ، ويتشيع لكل مذهب شيعة وحزب ينصرونه ويتعصبون له ويخطئون من

---

[1] الأنعام : ١٥٣ .

[2] الأنعام : ١٦١ .

[3] الشورى : ١٦١ .

[4] يونس .

يخالفه ، ويرمون المخالفين بالجهل والضلال أ والكفر والابتداع ، وذلك سبب لإضاعة الدين بترك طلب الحق المترل فيه .

والحق لا يمكن ان يكون محبوسا على طائفة دون طائفة ، ولا مقصورا على فئة دون فئة ، ولكنه معروض على كل ذى فطرة سليمة ونفس مستقيمة ، ومن أدركه فقد اهتدى وقد صار مكلفا بدعوة غيره إلى الهداية ، وهذا الحق القديم لا خلاف عليه ، ولأنه رسالة الانبياء ودعوة الصالحين ، ولأنه هو الفطرة النقية الخالصة فى نفس كل إنسان ، فإذا احتجب فى النفوس فذلك لأن الناس قد تجاهلوه أو اهملوه كالمصابيح تكون فى ايدينا فتنير لنا الطريق ، فإذا تركنا الغبار يتراكم عليها فقد حبسنا نورها بأيدينا وتعثرت بنا الخطوات فى الظلمات .

وقد روى أحمد والترمذى والنسائى : عن النواس بن سمعان مرفوعا : "" ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس هلم ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان ان يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له : ويحك لا تفتحه فإنك أن تفتحه تلجه فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم "".

ولعل هذا الواعظ هو ما يعبر عنه الناس بالوجدان والضمير والإستقامة على هذا الصراط استقامة على امر الله عز وجل ، وسلوك لطريق الله الذى لا طريق سواه فهو صراط مستقيم ، لايلتوى ولا يتعرج ، فقد قام عليه دين الله كافة وجاء به الإسلام مصدقا للأديان ومهيمنا عليها ، فهو يجمع بين صحة العقيدة فى الله ، وسلامة النظم الموضوعة للحياة وبين هذين (العقيدة ونظم لحياة) رباط محكم وعقدة وثيقة لا تنفصل ، فأى نظام للحياة بفصل نفسه عن العقيدة فى الله فهو نظام مبثور لا يستطيع ان يحقق الغاية النبيلة اتى هى رسالة الإنسان على الأرض كما ارادها الله ، لأن أساس كل

تشريع انسانى يجب ان يكون قائما على ضمائر لا تستمد سموها ونقاءها الا باتصالها بالله الخالق ، والا على أساس من الدين الخالص ، فهى إذن مرتكزة على أصول ثابتة لا تزعزعها الأنواء ولا تميل مع الاهواء ، وذلك هو سر التعقيب على الآية بقوله تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ والتقوى مراقبة الله وإخلاص العبادة له دون سواه ، والإلتزام بصراط المستقيم حتى لا تتفرق بنا السبل عنه ، وهذه السبل هى مفترق الطريق بين الشريعة الواضحة المستقيمة وبين غيرها من الاتجاهات المتعددة التى تصنعها اهواء البشر سواء كان ذلك شركا تمزقه أهواء الوثنية شيعا وفرقا وتقاليد ، أم كان ملا ونحلا تصنعها أفهام (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أم كان أفكارا مستوردة وبدعا مستولية على بعض المنتسبين إلى الإسلام ... وتلك وغيرها هى من (السبل) التى يحذر منها القرآن ، ويدعو المسلمين إلى الاعتصام عنها بالصراط المستقيم .

ولما كان اتباع الصراط المستقيم هو الرباط الذى يجمع المسلمين فلا ينحرفون ويوحد طريقهم فلا يضلون ، كان اتباع السبل المتفرقة هو البعد عن سبيل الله ، وكان هو الثغرة التى ينفذ منه الضعف إلى كيان الأمة والريح التى تهب على المسلمين فتترك وحدتهم نهبا وأفئدتهم هواء .

ولقد اصيب المسلمون فى فترات ضعفهم ، بسرعة الاستهواء ، فاتبعوا غيرهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، فحل بهم ما حل من الضعف والتفكك والانهيار ، ولم يردعهم عن ذلك ما ورد من التحذير منه فى كتاب الله تعالى وأحاديث الرسول ﷺ .

ولقد روى عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ أن الله أمر المؤمنين بالتزام الجماعة ، والاعتصام بالطريق المستقيم ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، واخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالخصومات والتفرق وتشتت الاهواء مع أن الله قد دعاهم إلى الاتحاد والاعتصام بحبله فى مثل قوله ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تتفرقوا ﴾ [1] .

---

[1] آل عمران : ١٠٣ .

ولقد ورد فى الحديث الصحيح عن ابن مسعود : "" أن كتاب الله هو حبله الممدود من السماء إلى الأرض ، فمن اعتصم به كان آخذا بالإسلام ، والمسلمون مأمورون بأن يجعلوا اجتماعهم ووحدتهم بهذا الكتاب : عليه يجتمعون ، وبه يتحدون ، ومنه يستمدون المنهج ويسلكون الطريق المستقيم .

وقد أمرنا بالتزام هذا الطريق وحده حتى لا نكون من ﴿ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴾ فمن مظاهر هذا التفريق : اتباع سبيل غير سبيل الله الذى يرسمه كتابه ، واحداث المذاهب المتفرقة والشيع المختلفة فى الدين الواحد والتعصب لها دون دليل والعصبية الجاهلية التى تمزق شمل الأمة ولقد ورد فى النهى عن هذه العصبية أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم : "" أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد فى الحرام ، ومبتغ فى الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق يهريق دمه "[1]

ولقد اعتصمت بعض الأمم غير المسلمة بجنسيات قائمة على عصبية كعصبية الجاهلية ، واقتفى أثرهم بعض المسلمين فحاولوا أن يجعلوا الوطن الإسلامى أوطانا تنتمى إلى جنسيات وطنية وحضارات قديمة ، وليس الأمر كذلك ، فإن الاسلام يدعو إلى اتحاد أبناء الوطن الواحد ، وان كانت بينهم جنسيات قديمة مختلفة ، ويأمر بالاعتصام بحبل واحد هو حبل الله الذى يسلك القوميات فى قومية واحدة والجنسيات فى جنسية واحدة ، وبذلك تتحقق الأخوة فى الله على اساس من المحبة لا على أساس من العصبية .

ولقد أشرنا إلى تذييل آية الأمر باتباع الصراط المستقيم بقوله تعالى ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

لأن الأمر باتباع صراط الحق المستقيم ، والنهى عن اتباع السبل الضالة المعوجة ، هو خلاصة الوصايا النافعة الموصلة إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، وهو التقوى التى أمر المسلمون بها فى كل أحوالهم من عبادات ومعاملات وآداب وقتال وسنن اجتماع وطعام وشراب .

---

[1] رواه البخارى من حديث ابن عباس .

وفى الصلوات اليومية للمسلم ، يردد دعاء فى كل ركعة هذا الدعاء ضمن سورة . من سور القرآن ولكنها " أم القرآن " أو " أم الكتاب " ، ولا صلاة للمسلم إذا لم يقرأها .. فهو يدعو ربه "" اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين "" .

وهو بهذا الدعاء يطلب من الله هداية الوجدان النظرى ، وهداية الحواس والمشاعر وهداية العقل والتفكير وهداية هى رأس هذه الهدايات وملاكها ، وهى الهداية إلى الدين واتباع الصراط المستقيم ، وهى أيضا تهب كل موجود قوام وجوده ، وتجعل لحياته سببا متصلا بالسماء وامتدادا خالدا فلا تنتهى بإنتهاء حياته على هذه الأرض .

ولما كان الإنسان معرضا للخطأ على هذه الأرض ، ولما كانت الشهوات تحيط به و الشعاب تفترق أمام ناظريه ، فهو يحتاج إلى قوة أكبر من قوته ، وعون اعلا من طاقته ومدد الهى يطلبه بقوله (اهدنا الصراط المستقيم) أى دلنا يا رب على الطريق الواضح الذى لا زيغ معه ، المستقيم الذى لا التواء فيه .. ثم اهدنا إلى سلوك هذا الطريق والتزام السير فيه ، لأن حاجتنا اليه اشد من حاجتنا إلى كل شئ سواه فهو مستقيم لا ينحرف عن الغاية بل يؤدى اليها ، وغاية المسلمين ان يرضوا الله وهم فى الدنيا وأن يحصلوا على ثوابه يوم الحساب ، فهم هنا يسألون الله ان يهديهم الصراط المستقيم ، وفى الآية الأخرى يؤمرون بأن يتبعوا الصراط المستقيم ، ولا تعارض بين السؤال والأمر ، فإن الله سبحانه وتعالى بدلنا على الطريق بفضله وعلمه ، ونحن له ملتزمون هذا الطريق بطاعتنا لله واتباعنا لصراطه المستقيم ، هو سبحانه يهدينا إلى الصواب ، ونحن نميل إلى الصواب بسلوكنا أو نحيد عنه بأعمالنا ، والله عز وجل يقول ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [1] أى دللناه على الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ... ثم يختار سلوك أحد الطريقين ومنه أيضا قوله تعالى :

---

[1] البلد : ١٠ .

﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [1] .

فقد دلهم الله تعالى على طريقى الخير والشر ، فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى ، وتركوا طريق الخير المعبر عنه بالهدى وذلك هو الضلال المبين .

فهداية الله للمؤمنين هنا هى بيان الطريق لهم وايقافهم على رأس الطريقين . المهلك والمنجى مع بيان ما يؤدى اليه كل منهما وذلك تفضل من الله على عباده بدلالتهم على كل من الطريقين .

أما الهداية فى قوله تعالى ﴿ أولئك الذى هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ [2] . فهى إعانة المؤمنين وتوفيقهم للسير فى الطريق المستقيم بعد أن صدقت نيتهم وتوافر اتجاههم لسلوك هذا الطريق .

وأما السبل التى ينهانا الله عن اتباعها فى قوله ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ فهى سبل غير المؤمنين ، أولئك هم المغضوب عليهم وهم الضالون ، لأنهم فرقوا دين الله ورفضوا شريعته ، وجعلوا الحق الواحد الذى لا يتعدد شعابا متعرجة وفجاجا ملتوية لا تؤدى إلى الإيمان ولا تصل إلى غاية المؤمنين .

وهؤلاء هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به ، وبلغهم شرع الله ودينه فرفضوه و لم يتقبلوه وهم ابلغ فى الجحود من الذين لم يعرفوا الحق أصلا فرفضوه عن جهل لا عن عناد ، وفى أمثال هؤلاء المعاندين يقول الله عز وجل ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ [3] .

وما دام طريق الحق واحدا لا يتعدد وان تعددت حوله الشعاب واختلفت حوله الدروب ، وما دامت كلمة الله واضحة مستقيمة وان زاغت المذاهب والتوت الآراء ..

---

[1] فصلت : ١٧ .

[2] الأنعام : ٩٠ .

[3] البقرة : ٨٩ .

فإنه مطلوب من الذين ساروا فى طريق الحق ان يثبتوا عليه وان طال بهم السير وأدمت اقدامهم أشواك الطريق ، فإنه هو الطريق الموصل إلى الله والمؤدى إلى الجنة ، وهو الذى يثبت الله نبيه عليه بقوله ﴿ وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ [1] .

والذين اتبعوا كلمة الله فجعلوها منهجا لحياتهم على الأرض واساسا لتعاملهم مع الناس ، ووسيلة تصلهم بالله عز وجل . ﴿ أولئك هم المؤمنون ﴾ وعليهم ان يثبتوا مع كلمة الله ، وان يستقيموا على طريق الإيمان ، ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ [2] .

---

[1] الشورى : ٥٢ - ٥٣ .

(٢) حم سجدة : ٤١ - ٣٠ - ٣١ .